

وفاة الرسول

صلى الله عليه وسلم

كتبه

محمد بيومى

مكتبة الإيمان — المنصورة - أمام جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع
المنصورة - أمام جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين.

وبعـد ...

هذه رسالة فى وفاة الرسول ﷺ وما صاحبـــها مــن مــرض ووصايا قبل الموت وغير ذلك.

والله أسأل أن يتوفانا على الإسلام الصافى الذى ربـــى النبــى ﷺ عليه أصحابه الكرام

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إعلام الله لنبيه ﷺ بقرب موته

جعل الله ظهور الإسلام علامةً على قرب موت النبى الكريم ﷺ فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال " إنه قد نعيت إلى نفسى " فبكت ، فقال لها : لا تبكى فإنك أول أهلى لا حق بى فضحكت ، فرأها بعض أزواج النبى ﷺ فقالت لها : رأيناك بكيت ثم ضحكت .

فقالت : إنه قال لى : " نعيت إلى نفسى " فبكيت ، فقال : لا تبكين فإنك أول أهلى لا حق بى فضحكت.(١)

وقيل لابن عباس رضى الله عنهما : هل كان يعلم رسول الله ﷺ متى يموت ؟ قال: نعم . قيل : ومن أين ؟ قال : إن الله تعالى جعل علامة موته فى هذه السورة : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ يعنى فتح مكة ﴿ **ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً** ﴾ ذلك علامة موته ، وقد كان نعىْ نفسه إلى فاطمة عليها السلام.

فإن المراد من هذه السورة أنك يا محمد ، إذا فتح الله عليك البلاد ، ودخل الناس فى دينك الذى دعوتهم إليه أفواجاً فقد إقترب أجلك ، فتهيأ للقائنا بالتحميد والإستغفار ، فإنه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ ، وما عندنا خيرٌ لك من الدنيا ، فاستعد للنقلة إلينا.

قال ابن عباس : لما نزلت هذه السورة نعيت لرسول الله ﷺ نفسه ، فأخذ فى أشد ما كان إجتهاداً فى أمر الآخرة.(٢)

وقد نسى بعض الصحابة هذه العلامة وحفظها البعض الآخر ، وكان على

....

(١)حسن . رواه الطبرانى فى الكبير (١١/٣٣٠) رقم (١١٩٠٧) وفى الأوسط (١/٢٧١) رقم (٨٨٣) والبيهقى فى دلائل النبوة (٧/١٦٧).

(٢) حسن . رواه الطبرانى فى الكبير (١١/٣٢٨) رقم (١١٩٠٣) وفى الأوسط (٢/٢٨٤) رقم (١٩٩٦).

رأس من حفظوها عبد الله بن عباس ، راوى الحديث وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما.

يوضح ذلك ما رواه البخارى فى "صحيحه" عن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد فى نفسه [١] فقال : لم تدخل هذا معنى ولنا أبناءٌ مثلهُ [٢] ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم [٣]. فدعا ذات يومٍ فأدخله معهم فما رأيت أنه دعانى يومئذٍ إلا ليريهم ، قال : ما تقولون فى قول الله تعالى ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ فقال بعضهم : أمرنا نحمدُ الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. فقال لى : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ وذلك علامةُ أجلك ﴿ **فسبح بحمد ربك وإستغفره إنه كان تواباً** ﴾ فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول [٤].

وتفسير ابن عباس لهذه السورة على أنها علامة على قرب موت النبى ﷺ ليس تفسيراً إشارياً كما قال الحافظ ابن حجر [٥] ، وإنما هو تفسير بالمأثور وهو الحديث السابق الذى رواه ابن عباس رضى الله عنه.

....

(١) وجد : أى غضب.

(٢) لنا أبناء مثله : أى لنا أولاد صغار فى مثل سنه ، فقد كان ابن عباس فى ذاك الوقت صغير السن ، لأن النبى ﷺ قد توفى ولابن عباس من العمر ثلاثة عشر عاماً. والمقصود من قول شيوخ بدر :أننا لا نصحب أولادنا فى هذا المجلس كما تصحب أنت يا عمر ابن عباس.

(٣) أراد عمر بهذا القول أن يذكر شيوخ بدر بفضل ابن عباس وفقهه فى الدين وهذا هو الذى يشفع له بالجلوس معكم. لأن النبى ﷺ كان قد دعا لابن عباس بالفقه فى الدين ومعرفة تفسير القرآن العظيم.

(٤) رواه البخارى (٤٩٧٠) كتاب التفسير ، باب قوله تعالى **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾ .

(٥) فى " الفتح " (٦٠٨/٨) ط دار الريان للتراث.

علامة أخرى على قرب موت النبى ﷺ

من العلامات أيضاً التى أعلم الله بها نبيه ﷺ بقرب موته حينما ــ عرض جبريل عليه السلام القرآن مرتين على النبى ﷺ وذلك فى العام الذى توفى فيه النبى ﷺ فعن عائشة رضى الله عنها قالت : إجتمع نساء رسول الله ﷺ عند رسول الله ﷺ ولم يغادر منهن امرأة ، فجاءت فاطمة تمشى ، ما تخطئ مشيتها مشية أبيها.

فقال : مرحباً بابنتى فأقعدها عن يمينه فسارها بشىء فبكت ، ثم سارها فضحكت ، فقلت لها : خصك رسول الله ﷺ بالسر وتبكين ...

فلما توفى قلت لها : أسألك بما لى عليك من الحق لما أخبرتنى بما سارك فقالت : أما الآن فنعم ، قالت : سارنى فقال : إن جبريل عليه السلام كان يعارضنى بالقرآن فى كل سنة مرة ، وإنه عارضنى العام مرتين ولا أرى إلا ذلك عند إقتراب أجلى ، فاتقى الله واصبرى فنعم السلف أنا لك ، فبكيت . ثم سارنى فقال : أما ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة ، فضحكت [١].

ومن الروايتين يكون النبى ﷺ قد جمع لفاطمة رضى الله عنها أنها أول أهله لحوقاً به وأنها سيدة نساء أهل الجنة.

قال البيهقى : مجموع هذه الأخبار الصحيحة تدل على أن الله تعالى أنزل على رسوله ﷺ هذه السورة [أى سورة النصر] فكانت علامة لاقتراب أجله ، وعارضه جبريل عليه السلام بالقرآن فى ذلك العام مرتين ، فكانت علامة أخرى لأجله وخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة فكانت علامة أخرى لأجله فأدى كل واحد من الرواة ما سمع [٢].

....

(١) رواه البخارى (٦٢٨٦) كتاب الإستئذان ، باب من ناجى بين يدى الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه. ومسلم (٦١٩٦) كتاب الفضائل ، باب : فضائل فاطمة رضى الله عنها. والنسائى فى كتاب الوفاة [٢] والبيهقى فى دلائل النبوة (٧/١٦٤ — ١٦٥) وقال الحافظ فى الفتح (٧/٧٤٣) : وفى الحديث إخباره ﷺ بما سيقع فوقع كما قال ، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة عليها السلام كانت أول من مات من أهل بيت النبى ﷺ بعده حتى من أزواجه.

(٢) " دلائل النبوة " :البيهقى (٧/١٦٧) بإختصار يسير.

وقال ابن رجب الحنبلى : وما زال ﷺ يعرّض باقتراب أجله فـــى آخـــر عمره ، فإنه لما خطب فى حجة الوداع ، قال للناس : " خذوا عنـــــى مناســـكم ، فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا " [١] وطفق يودع الناس ، فقالوا : هذه حجة الوداع ، فلما رجع من حجته إلى المدينة جمع الناس بماء يدعى خماً فى طريقه بيـــن مكـــة والمدينة فخطبهم وقال : " أيها الناس : إنما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربـــى فأجيب" [٢] ثم حض على التمسك بكتاب الله ، ووصى بأهل بيته [٣].

وقد كان النبى ﷺ يستعد للقاء ربه بالإكثار من الذكر والإستغفار ، قـــالت أم سلمة : كان رسول الله ﷺ فى آخـــر أمـــره لا يقـــوم ولا يقعـــد ولا يذهـــب ولا يجىء إلا قال : " سبحان الله وبحمده " فذكرت ذلك له فقال : " إنى أمرت بذلك " وتلا هذه السورة [تعنى سورة النصر] [٤].

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقـــول قبـــل موته : " سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه " فقلت له : إنك تدعو بدعـــاء لم تكن تدعو به قبل اليوم ، قال : " إن ربى أخبرنى أنى سأرى علماً فى أمتـــــى ، وأنىّ إذا رأيته أن أسبح بحمده وأستغفره ، وقد رأيته " ثم تلا هذه السورة [٥].

" إذا كان سيد المحسنين يؤمر بأن يختم أعماله بالحسنى ، فكيف يكون حال المذنب المسئ المتلوث بالذنوب المحتاج إلى التطهير .

مَنْ لم ينذره باقتراب أجلِهِ وحَىٌّ ، أنذره الشيب وسَلْبُ أقرانِهِ بالموت ".

كفى مؤذناً باقتراب الأجـــل	شباب تولـــى وشيب نــــزل
وموت اللذاذة هـــل بعـــــده	بقـــاءٌ يؤملـــه مـــنْ عَقَـــلْ
إذا ارتحلـــت قرنـــاء الفتى	على حكم ريب المنون ارتحل[٦]

....

(١) رواه مسلم (٣٠٧٩) كتاب الحج . باب إستحباب رمى جمرة العقبة يوم النحر . وأبـــو داود فى المناسك (١٩٧٠) باب فى رمى الجمار . والنسائى فى المناسك (٢٧٠/٥) باب الركـــوب إلى الجمار واستظلال المحرم من حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنه.
(٢) رواه مسلم (٦١٠٨) كتاب الفضائل ، باب فضائل على بن أبى طالب رضى الله عنه.
(٣) "لطائف المعارف" أبن رجب الحنبلى (١٦٦/١-١٦٧).
(٤) حسن رواه الطبرى فى تفسيره (٣٣٥/٣٠).
(٥) صحيح رواه أحمد (٣٥/٦) والطبرى فى تفسيره (٣٣٥/٣٠) وعزاه السيوطى فـــى الـــدر المنثور(٦٩٩/٦) إلى مسلم وابن أبى شيبة.
(٦) "لطائف المعارف " صـــ ١٦٥ ".

الرسول ﷺ يخير بين البقاء في الدنيا وبين لقاء ربه

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: "إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده" فبكى أبو بكر وقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا له ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ ، يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ماعنده ، وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر هو أعلمنا به.وقال رسول الله ﷺ : "إن من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتى لإتخذت أبا بكر إلا خلة الإسلام ، لايبقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر"(١)

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلى رحمه الله : لما عرض الرسول ﷺ على المنبر بإختياره اللقاء على البقاء ولم يصرح خفى المعنى على كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به ﴿ **ثانى اثنين إذ هما فى الغار**﴾{التوبة:٤٠} وكان أعلم الأمة بمقاصد الرسول ﷺ ، فلما فهم المقصود من الإشارة بكى ، وقال: بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا.

فسكن الرسول ﷺ جزعه ، وأخذ فى مدحه والثناء عليه على المنبر ليعلم الناس كلهم فضله ، فلا يقع عليه إختلاف ، فقال : "إن من أمن الناس على صحبته وماله أبو بكر" ثم قال رسول الله ﷺ : " لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لإتخذت أبا بكر خليلاً ولكن إخوة الإسلام " لما كان الرسول ﷺ خليل الله لم يصلح له أن يخالل مخلوقاً ، فإن الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح ، ولا يصلح هذا لبشر ، **كما قيل:-**

....

(١) رواه البخارى (٣٩٠٤) كتاب مناقب الأنصار باب هجرة النبى ﷺ وأصحابه إلى المدينة. ومسلم (٦٠٥٣) كتاب الفضائل باب : فضائل أبى بكر الصديق والترمذى فى المناقب (٣٦٦٠) باب : لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. والنسائى فى المناقب فى الكبرى (٣٥/٥) رقم (٨١٠٣)

قد تخللت مسلك الروح منى   وبذا سمى الخليل خليلا

ولهذا المعنى قيل : إن إبراهيم الخليل عليه السلام أمر بذبح ولده ، ولم يكن المقصود إراقة دم الولد بل تفريغ محل الخلة لمن لا يصلح أن يزاحمه فيها أحد.

أروحُ وقد ختمت على فؤادى   بحبك أن يحل به سواكا

فلو أنى إستطعت غضضت طرفى   فلم أنظر به حتى أراكا

ثم قال ﷺ : " لا يبقين خوخة فى المسجد إلا سدت إلا خوخة أبى بكر " وفى هذه إشارة إلى أن أبا بكر هو الإمام بعده ، فإن الإمام يحتاج إلى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره ، وذلك من مصالح المسلمين المصلين فى المسجد ، ثم أكد هذا المعنى بأمره صريحاً أن يصلى بالناس أبو بكر فروجع[1] فى ذلك فغضب ، وقال ﷺ " مروا أبا بكر يصلى بالناس " فولاه إمامة الصلاة دون غيره وأبقى استطراقه من داره إلى مكان الصلاة ، وسد استطراق غيره وفى هذا إشارة واضحة إلى إستخلافه على الأمة دون غيره ، ولهذا قالت الصحابة رضى الله عنهم عند بيعة أبى بكر : رضيه رسول الله ﷺ لديننا ، أفلا نرضاه لدنيانا ؟ ولما قال أبو بكر: قد أقلتكم بيعتى ، قال على :لا نقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله ﷺ فمن ذا يؤخرك ؟

لما انطوى بساط النبوة من الأرض بوفاة رسول الله ﷺ، لم يبق على الأرض أكمل من درجة الصديقيّة ، وأبو بكر رأس الصديقين فلهذا إستحق خلافة الرسول ﷺ والقيام مقامه.

وكان النبى ﷺ قد عزم على أن يكتب لأبى بكر كتاباً لئلا يختلف عليه ، ثم أعرض عن ذلك لعلمه أنه لا يقع غيره وقال : "يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر"[2]

••••••••••••••••••••

(١) راجعته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كما فى البخارى (٦٦٤) كتاب الصلاة ، باب حد المريض أن يشهد الجماعة. ومسلم (٩١٦) كتاب الصلاة ، باب : إستخلاف الإمام إذا عرض له عذر. وكان سبب مراجعة عائشة للنبى ﷺ لئلا يتشاءم الناس بأبى بكر رضى الله عنه. إذا قام مقام رسول الله ﷺ.

(٢) رواه مسلم (٦٠٦٤) كتاب الفضائل ، باب فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

وربما كان ترك ذلك لئلا يتوهم متوهم أن نصه على خلافته كانت مكافـــأة ليده التى كانت له ، والولايات كلها لا يقصد بها مصلحة المتولـــى بـــل مصلحـــة المسلمين عامه

الرسول ﷺ يخير فى ابتداء مرضه بين البقاء فى الدنيا ولقاء ربه

عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيـــه وهو معصوب الرأس ، فقام على المنبر ، فقال : " إن عبداً عرضت عليـــه الدنيـــا وزينتها ، فاختار الآخرة " قال : فلم يفطن لها أحد من القوم إلا أبو بكر ، فقـــال : بأبى وأمى بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا. قال : ثم هبط عن المنبر فما رُئـــى عليه حتى الساعة "(٢).

وعن أبى مويهبة ، أن النبى ﷺ خرج ذات ليلة إلى البقيع ، فاستغفر لأهـــل البقيع وقال: " ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً ، يتبع آخرها أولها والآخرة شرّ من الأولى ، ثم قال : يا أبا مويهبة إنى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى فاخترت لقاء ربى والجنة " ثم انصرف ، فابتدأه وجعه الذى قبضه الله فيه (٣).

" لما قويت معرفة الرسول ﷺ بربه إزداد حبه وشوقه إلى لقائه ، فلما خير بين البقاء فى الدنيا وبين لقاء ربه ، اختار لقاءه على خزائن الدنيا والبقاء فيها ".

سئل الشبلى : هل يقنع المحب بشئٍ من حبيبه دون مشاهدته ؟ فأنشد :

والله لـــو أنـــك توجـــتنـــى ... بتاج كسرى ملك المشرق
ولو بأموال الورى جدت لىِ ... أموال من باد ومن قد بقى
وقلت لى لا نلتقى ساعةً ... إخترت يامولاى أن نلتقى (٤)

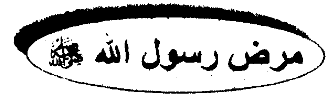
....

(١)" لطائف المعارف " (١٦٨ — ١٧٠) بإختصار يسير.

(٢) صحيح . رواه أحمد (٩١/٣) والدارمى (٥٠/١) رقم (٧٧) والحاكم (٢٨٢/٤) وصححـــه ووافقه الذهبى.

(٣) صحيح . رواه أحمد (٤٨٨/٣ — ٤٨٩) والطبرانى فى الكبـــير (٣٤٧/٢٢) رقـــم (٨٧٢) والدارمى (٥٠/١) رقم (٨٧) والدولابى فى الكنى (٥٧/١ — ٥٨) وابن إسحاق كمـــا فـــى السيره النبوية لابن هاشم (٢٠٠/٢) وأبو نعيم فى الحليه (٢٧/٢) والحـــاكم (٥٥/٣ — ٥٦) والبيهقى فى الدلائل (١٦٢/٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٤) لطائف المعارف " (١٦٨/١).



مرض رسول الله ﷺ

كان أول ما ابتدى به رسول الله ﷺ من مرضه وجع رأسه ، ولهذا خطب وقد عصب رأسه [1] وكان إبتداء مرضه ﷺ فى بيت ميمونة رضى الله عنها ثم استأذن النبى ﷺ أن يمرض فى بيت عائشة رضى الله عنها.

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : رجع رسول الله ﷺ من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صداعاً فى رأسى وأنا أقول : وا رأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وا رأساه ، قالت : ثم قال : وما ضرك لو مت قبلى فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتى فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله ﷺ وتتام به وجعه، وهو يدور على نسائه ، حتى إستعذبه [2] وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه، فإستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى فأذن له [3] ، ولما انتقل النبى ﷺ إلى بيت عائشة رضى الله عنها اشتد به وجعه وأصابته الحمى ، حتى قال ﷺ : " إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم " [4] ، والوعك الحمى ، وقيل ألمها.

وكانت حرارة الحمى شديدة ، يقول أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : "دخلت على النبى ﷺ وهو يوعك ، فوضعت يدى عليه ، فوجدت حره بين يدى فوق اللحاف ، فقلت : يارسول الله ما أشدها عليك ، قال : إنا كذلك يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الأجر ، قلت يارسول الله أى الناس أشد بلاء ؟ قال (الأنبياء) قلت : يارسول الله ثم من ؟ قال : الصالحون. إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء".. [5]

....

(١) " لطائف المعارف " (١/١٧٠).

(٢) استعذبه : أى إشتد عليه المرض.

(٣) صحيح . رواه أحمد (٦/٢٢٨) وابن إسحاق كما فى السيرة النبوية لابن هشام (٤/٢٠١) والدارمى (١/٥١) رقم (٨٠) والنسائى فى كتاب الوفاة (٣) وابن ماجة (١٤٦٥) والدارقطنى (٢/٧٤) والبيهقى فى السنن الكبرى (٣/٣٩٦) وفى دلائل النبوة (٧/١٦٩) وروى البخارى بعضه فى كتاب المغازى ، باب مرض النبى ﷺ ووفاته (٤٤٤٢)

(٤) رواه البخارى فى المرضى (٥٦٤٧) باب : شدة المرض، ومسلم فى البر والصلة (٦٤٣٧) باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن . وأحمد (١/٣٨١/٤٤١) والنسائى فى الطب فى الكبرى (٧٥٠٣، ٧٥٠٥) من حديث ابن مسعود رضى الله عنه

(٥) صحيح رواه أبو يعلى (٢/٣١٣) رقم (١٤٤) وابن ماجة (٤٠٢٤) والحاكم (٤/٣٠٧) وصححه ووافقه الذهبى.

ومن شدة حماه ﷺ كان يجلس في مخضب ويصب عليه الماء من سبع قرب يتبرد بذلك (١).

ومن شدة وجعه ﷺ كان يغمى عليه في مرضه ثم يفيق ، وحصل له ذلك غيرمرة فأغمى عليه مرة وظنوا أنه وجعه ذات الجنب(٢) فلدوه فلما أفاق أنكر ذلك وأمر أن يلد من لده وقال " إن الله لم يكن ليسلطها على" (٣) يعني ذات الجنب ، ومما زاد في مرض النبي ﷺ أنه كان قد أكل من شاة مسمومة لما فتح خيبر ، وكان اليهود هم الذين دسوا له السم في الشاة لقتله ﷺ فنجاه الله من شرورهم ولكن بقي أثر هذا السم حتى ظهر في مرض موته ﷺ.

....

(١) رواه البخاري (٤٤٤٢) كتاب المغازي ، باب مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٢) قال الحافظ ابن حجر : ذات الجنب : هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات والعضل التي في الصدر والأضلاع فتحدث وجعا ، فالأول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الأطباء ، وقالوا : يحدث بسببه خمسة أعراض : الحمى ، والسعال، والنخس ، وضيق النفس والنبض المنشاري. ويقال لذات الجنب أيضاً وجع الخاصرة وهي من الأمراض المخوفة لأنها تحدث بين القلب والكبد وهي من سئ الأسقام ولهذا قال ﷺ ما كان الله ليسلطها على (فتح الباري (١٠/١٨٢)).

(٣) رواه البخاري (٤٤٥٨) كتاب المغازي ، باب ، مرض النبي ﷺ ووفاته . ومسلم (٥٦٥٧) من حديث عائشة رضى الله عنها.. قال النووي : اللدود بفتح اللام هو الدواء الذي يصب في أحد جانبي فم المريض ويسقاه أو يدخل هناك بإصبع وغيرها ويحنك به.. وإنما أمر ﷺ بلدهم عقوبة لهم حين خالفوه في إشارته إليهم لا تكدوني .. وفيه تعذير المتعدي بنحو من فعله الذي تعدى به إلا أن يكون فعلا محرماً .

وقال الحافظ ابن حجر : قال ابن العربي : أراد أن لا يأتوا يوم القيامة وعليهم حقه فيقعوا في خطب عظيم ، وتعقب بأنه كان يمكن العفو لأنه كان لا ينتقم لنفسه ، والذي يظهر أنه أراد بذلك تأديبهم لئلا يعودوا ، فكان ذلك تأديبا لا قصاصا ولا إنتقاما. قيل وإنما كره اللد مع أنه كان يتداوى لأنه تحقيق أنه يموت في مرضه ، ومن حقق ذلك كره له التداوى . قلت : وفيه نظر ، والذي يظهر أن ذلك كان قبل التخيير والتحقق ، وإنما أنكر التداوى لأنه كان غير ملائم لدائه ، لأنهم ظنوا أن به ذات الجنب فداووه بما يلائمها ولم يكن به ذلك كما هو ظاهر في سياق الخبر ، كما ترى ، والله أعلم. الفتح (٧/٧٥٤).

قالت عائشة رضى الله عنها : " كان النبىﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه : يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى [1] من ذلك السم " [2].

وعن أم مبشر قالت : دخلت على رسول الله ﷺ فى وجعه الذى قبض فيه فقلت : بأبى أنت يا رسول الله ما تتهم بنفسك فإنى لا أتهم بابنى إلا الطعام الذى أكله معك بخيبر وكان ابنها بشر بن البراء بن معرور مات قبل النبى ﷺ فقال : رسول الله ﷺ "وأنا لا أتهم غيرها هذا أوان إنقطاع أبهرى " [3].

وكان ابن مسعود وغيره يقولون : إنه ﷺ مات شهيداً من السم.

وقالت عائشة : ما رأيت أحداً كان أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ [4].

....

(١) قال الحافظ بن حجر : قال أهل اللغة : الأبهر عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب اذا انقطع مات صاحبه. وقال الخطابى : يقال إن القلب متصل به <<الفتح>> (٨٣٧/٧).

(٢) رواه البخارى تعليقاً (٤٤٢٨) ووصله الحاكم (٥٨/٣) والبيهقى فى الدلائل (١٧٢/٧) وسنده حسن.

(٣) صحيح . رواه أحمد (١٨/٦) ، وعبد الرزاق (١٩٨١٥). وأبو داود (٤٥١٣) والحاكم (٢١٩/٣) وصححه ووافقه الذهبى.

(٤) رواه البخارى فى " المرضى " (٥٦٤٦) باب : شدة المرض ، ومسلم (٤٦٣٥) كتاب البر والصلة ، باب : ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ، والنسائى فى كتاب الوفاة (١١) وبن ماجه فى الجنائز (١٦٢٢) باب : ماجاء فى ذكر مرض رسول الله ﷺ.

الرسول ﷺ ساعة الاحتضار

اشتد المرض على النبى ﷺ حتى كان لا يستطيع أن يرقى نفسه كما كان يفعل قبل ذلك.

قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ إذا إشتكى نفث [1] على نفسه بالمعوذات [2] ، ومسح بيده ، فلما اشتكى وجعه الذى توفى فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التى كان ينفث وأمسح بيد النبى ﷺ عنه رجاء بركتها ، لأنها كانت أعظم بركة من يدى [3] وكذلك من شدة مرضه ﷺ كان لا يستطيع أن يستاك بنفسه ، قالت عائشة رضى الله عنها : " دخل عبد الرحمن بن أبى بكر على النبى ﷺ وأنا مسندته إلى صدرى ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به ، فأبده[4] رسول الله ﷺ بصره ، فأخذت السواك فقضمته [5] وطيبته ، ثم دفعته إلى النبى ﷺ فاستتن به ، فما رأيت رسول الله ﷺ استن إستناناً قط أحسن منه "[6] .

وفى رواية قالت رضى الله عنها : إن من نعم الله علىَّ أن رسول الله ﷺ توفى فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى ، وأن الله جمع بين ريقى وريقه

....

(١) النفث : هو التفل مع إخراج ريق خفيف.

(٢) المعوذات : هى سورة " قل هو الله أحد " وسورة " قل أعوذ برب الفلق " وسورة "قل أعوذ برب الناس ".

(٣) رواه البخارى (٤٤٣٩) كتاب المغازى ، باب : مرض النبى ﷺ ووفاته. ومسلم (٥٦١٠/٥٦١١) كتاب الطب ، باب : رقية المريض بالمعوذات والنفث. وأبو داود فى الطب (٣٩٠٢) ، باب كيف الرقى. والنسائى فى عمل اليوم والليلة (١٠١٧) وابن ماجه فى الطب (٣٥٢٩) ، باب : النفث فى الرقية.

(٤) أبده : أى مد نظره إليه. (٥) أى مضغته.

(٦) رواه البخارى (٤٤٣٨) كتاب المغازى ، باب : مرض النبى ﷺ ووفاته.

عند موته : دخل على عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ ، فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته فاشتد عليه ، وقلت ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته فأمره ، وبين يده ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : " لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات " [١].

ولما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه ، فقال لها النبي ﷺ : ليس على أبيك كرب بعد اليوم [٢] ثم سارها النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه هذا [٣] ثم قال لها : إنه قد حضر من أبيك ماليس الله بتارك منه أحداً ، الموافاة يوم القيامة " [٤].

....

(١)رواه البخاري (٤٤٤٩) كتاب المغازي ، باب : مرض النبي ﷺ ووفاته

(٢) رواه البخاري (٤٤٦٢) كتاب المغازي ، باب : مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٣) رواه البخاري (٤٤٣٤) كتاب المغازي ، باب : مرض النبي ﷺ ووفاته.

(٤)حسن رواه الترمذي في الشمائل (٣٣٤) وابن ماجة (١٦٢٩) كتاب الجنائز ، باب : ذكر وفاته ودفنه ﷺ .والذهبي في سير أعلام النبلاء (٥١٧/١٤) والبيهقي في " الدلائل " (٢١٢/٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

لم يقبض ﷺ حتى خير مرة أخرى بين الدنيا والآخرة.

قالت عائشة رضى الله عنها " كان النبى ﷺ يقول وهو صحيح إنه لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يخير فلما نزل به ورأسه على فخذى غشى عليه ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت ثم قال : اللهم فى الرفيق الأعلى .. فقلت: إذاً لا يختارنا ، وعرفت أنه الحديث الذى يحدثنا وهو صحيح ، قالت فكان آخر كلمة تكلم بها : اللهم الرفيق الأعلى "[1] .. وفى رواية أنه قال : " اللهم أغفرلى ، وارحمنى ، وألحقنى بالرفيق الأعلى "[2] .. وفى رواية " أنه أصابه بحة شديدة ، فسمعته يقول : ﴿ **مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** ﴾ (النساء ٦٩) قالت : فظننت أنه خيِّر حينئذ "[3].

وفى رواية عنها قالت : " أغمى على رسول الله ﷺ ورأسه فى حجرى ، فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء ، فلما أفاق ، قال " بل أسأل الله الرفيق الأعلى ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل "[4] والرفيق الأعلى : الجنة.

ولما خرجت روحه ﷺ خرجت معها رائحة طيبة قالت عائشة رضى الله عنها : قبض رسول الله ﷺ ورأسه بين سحرى ونحرى ، قالت : فلما خرجت نفسه لم أجد ريحاً قط أطيب منها [5].

....

(١) رواه البخارى (٤٤٦٣) كتاب المغازى ، باب : آخر ماتكلم به النبى ﷺ ووفاته. ومسلم (٦١٨٠) كتاب الفضائل ، باب فضائل عائشة رضى الله عنها.

(٢) رواه البخارى (٤٤٤٠) كتاب المغازى ، باب : مرض النبى ﷺ ووفاته. ومسلم (٦١٧٦) كتاب الفضائل ، باب فضائل عائشة رضى الله عنها. وأحمد (٢٣١/٦) والترمذى فى الدعوات (٣٤٩٦) والنسائى فى كتاب الوفاة (٢٩) وفى عمل اليوم والليلة (١١٠٣).

(٣) رواه البخارى (٤٤٣٥) كتاب المغازى ، باب : مرض النبى ﷺ ووفاته. ومسلم (٦١٧٨) كتاب الفضائل ، باب فضائل عائشة رضى الله عنها. والنسائى فى كتاب الوفاة (٢٧) وفى عمل اليوم والليلة (١١٠٢) وابن ماجه فى الجنائز (١٦٢٠). باب : ما جاء فى ذكر مرض سول الله ﷺ .

(٤) صحيح. رواه ابن حبان (٦٥٩١ — إحسان) والنسائى فى عمل اليوم والليلة (١١٠٥).

(٥) صحيح. رواه أحمد (١٢١/٦ — ١٢٢) والبيهقى فى الدلائل (٢١٣/٧).

وقد استمر المرض بالنبى ﷺ حتى وفاته عشرة أيام وقيل اثنا عشر يوماً ، وقيل ثلاثة عشر يوماً ، وقيل أربعة عشر يوماً.

وكانت وفاته ﷺ فى يوم الإثنين فى شهر ربيع الأول بغير خلاف.

واختلفوا فى تعيين ذلك اليوم من الشهر. فقيل : كان أوله ، وقيل : ثانيه، وقيل : ثانى عشر، وقيل : ثالث عشره ، وقيل : خامس عشره ، ورجح الحافظ ابن حجر أنه اليوم الثانى من شهر ربيع الأول ، وليس اليوم الثانى عشر كما هو مشهور بين الناس (١).

وتوفى رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاثة وستين سنة (٢) ، ودفن ﷺ ليلة الأربعاء ، وأما الغسل والكفن فحصل يوم الثلاثاء. والله أعلم.

" ولما توفى ﷺ اضطرب المسلمون ، فمنهم من دهش فخولط ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام ، ومنهم من أنكر موته بالكليه وقال : إنما بعث إليه كما بعث إلى موسى ، وكان من هؤلاء عمر " (٣) وبلغ الخبر أبا بكر فأقبل مسرعاً على فرس من مسكنه بالسنح (٤) حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فقصد رسول الله ﷺ وهو مسجى بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه فقبله وبكى ، ثم قال : " بأبى أنت وأمى ، والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها " (٥) ثم خرج أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يكلم الناس ، فقال : اجلس ، فأبى.

....

(١) انظر " فتح البارى " (٧٣٦/٧).
(٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) " لطائف المعارف " (١٨٠/١).
(٤) السنح : موضع بعوالى المدينة ، وكان فيه بيت الصديق رضى الله عنه.
(٥) ومعنى قول أبى بكر : " والله لا يجمع الله عليك موتتين ، أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها " فقال الحافظ : أشار بذلك إلى الرد على من زعم أنه سيحيا فيقطع أيدى رجال ، لأنه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى ، فأخبر أنه أكرم على الله أن يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره كالذين خرجوا من ديارهم ألوف ، وكالذى مر على قرية <<الفتح>> (١٣٨/٣).

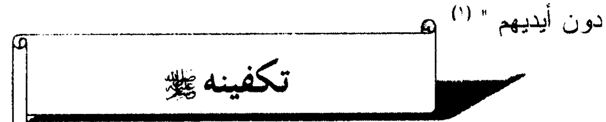
فقال : اجلس فأبى : فتشهد أبو بكر رضى الله عنه فمال إليه الناس وتركوا عمر ، فقال : أما بعد فمن كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً ﷺ قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ، قال الله تعالى : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين** ﴾(آل عمران : ١٤٤). فو الله لكأن الناس لم يكونوا يعلمون أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه، فتلقاها منه الناس فما يسمع بشر إلا يتلوها [١].

....

(١) رواه البخارى (١٢٤١ — ١٢٤٢) كتاب الجنائز ، باب : الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج فى أكفانه.

كيف غسل النبى ﷺ وكفن

عن عائشة رضى الله عنها قالت : " لما أرادوا غسل رسول الله ﷺ اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندرى أنجرد رسول الله ﷺ أو نغسله وعليه ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم، حتى ما منهم رجل إلا ذقنه فى صدره ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبى ﷺ وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله ﷺ ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم " [(١)]



قالت عائشة رضى الله عنها : " كفن رسول الله ﷺ فى ثلاثة أثواب بيض سحولية [(٢)] من كرسف[(٣)] ليس فيها قميص ولا عمامة "[(٤)].

....

(١) صحيح . رواه ابن إسحاق كما فى السيرة النبوية لابن هشام (٢١٦/٤) والحاكم (٥٩/٣-٦٠) والبيهقى فى " الدلائل " (٢٤٢/٧) وصححه الحاكم ووافقه الذهبى.

(٢) قال ابن الأعرابى وغيره : هى ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن ، وقال ابن قتيبة : ثياب بيض ، ولم يخصها بالقطن ، وقال آخرون : هى منسوبة إلى سحول قرية باليمن تعمل فيها ، وقال الأزهرى : السحولية : بالفتح منسوبة إلى سحول مدينة باليمن يحمل منها هذه الثياب ، وبالضم ثياب بيض . شرح النووى فى مسلم (٥٢٨/٣) ط دار الغد العربى.

(٣) الكرسف : القطن.

(٤) رواه البخارى (١٢٦٤) كتاب الجنائز باب : الثياب البيض للكفن ، ومسلم (٢١٤٤) كتاب الجنائز باب : كفن الميت ، وأبو داود فى الجنائز (٣١٥٢) ، باب : فى الكفن والنسائى فى الجنائز (٣٥/٤) ، وفى كتاب الوفاة (٣٩) وابن ماجه فى الجنائز (١٤٦٩) باب : ماجاء فى كفن النبى ﷺ.

كيفية الصلاة عليه ﷺ

قال ابن إسحاق : فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ، وضع في سريره في بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه فقال قائل : ندفنه في مسجده ، وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض " فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه ، فحفر تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه أرسالاً(١) ، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ، ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد (٢).

قال ابن كثير : وهذا الصنيع ، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه أمر مجمع عليه لا خلاف فيه ، وقد اختلف في تعليله .. وليس لأحد أن يقول لأنه لم يكن لهم إمام ، لأنا قدمنا أنهم إنما شرعوا في تجهيزه عليه السلام بعد تمام بيعة أبي بكر رضي الله عنه ، وقد قال بعض العلماء : إنما لم يؤمهم أحد ليباشر كل واحد من الناس الصلاة عليه منه إليه ، ولتكرر صلاة المسلمين عليه مرة بعد مرة من كل فرد فرد من آحاد الصحابة رجالهم ونساءهم وصبيانهم حتى العبيد والإماء. وأما السهيلي فقال ما حاصله : إن الله قد أخبر أنه وملائكته يصلون عليه، وأمر كل واحد من المؤمنين أن يباشر الصلاة عليه منه إليه ، والصلاة عليه بعد موته من هذا القبيل. قال وأيضاً : فإن الملائكة لنا في ذلك أئمة. فالله أعلم (٣).

....

(١) أي فرادى.

(٢) " السيرة النبوية " ابن هشام (٢١٦/٤ — ٢١٧).

(٣) " البداية والنهاية " (٢٨٦/٥) ط مؤسسة التاريخ العربي بيروت.

كيفيـــة دفنـــــــه ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما مات رسول الله ﷺ اختلفــوا فـــي اللحد والشق [1] ، حتى تكلموا في ذلك وارتفعت أصواتهم فقال عمر : لا تصخبــوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً ، أو كلمة نحوها.

فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد جميعاً ، فجاء اللاحد فلحد لرسول الله ﷺ ثـم دفن ﷺ [2] وعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : لما توفي النبـــي ﷺ كـــان بالمدينة رجل يلحد وآخر يضرح [3] ، فقالوا : نستخير ربنا ونبعث إليهما. فأيـــهما سبق تركناه ، فأرسل إليهما فسبق صاحب اللحد ، فلحد للنبي ﷺ [4].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : دخل قبر النبي ﷺ العباس وعلـــي والفضل ، وسوى لحده رجل من الأنصار ، وهو الذي سوى لحود الشـــهداء يـــوم بدر [5].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ ألحد ونصب عليه اللبن نصباً ، ورفع قبره من الأرض نحواً من شبر [6].

....

(١) اللحد : بفتح اللام وبالضم وسكون الحاء هو الشق في عرض القبر من جهة القبلة ، والشق هو الضريح وهو أن يحفر إلى أسفل كالنهر. قال النووي في الجمـــوع (٥/٢٨٧) " أجمـــع العلماء أن الدفن في اللحد والشق جائزان ، ولكن إن كانت الأرض صلبة لا ينـــهار ترابـــها فاللحد أفضل لما سبق من الأدلة ، وإن كانت رخوة تنهار فالشق أفضل ".

(٢) صحيح. رواه ابن ماجه (١٥٥٨) كتاب الجنائز ، باب : ما جاء في الشق.

(٣) يضرح في القاموس : ضرح الميت كمنع ، حفر له ضريحا والضريـــح القـــبر أو الشـــق والثاني هو المراد شرعاً بالمقابلة.

(٤) صحيح. رواه أحمد (٣/٩٩) وابن ماجة (١٥٥٧) كتاب الجنائز باب : ما جاء في الشق.

(٥) صحيح. البزار (٨٥٥) وابن حبان (٦٦٣٣— إحسان) والطحاوي في مشكل الآثار (٤/٤٧) وابن الجارود (٢٦٨).

(٦) صحيح. رواه ابن حبان (٦٦٣٥ — إحسان).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جعل فى قـــبر رســول الله ﷺ قطيفة حمراء[1] .

قال الحافظ : وروى ابن أبى شيبة وأبو داود فى المراسيل عن الحسن نحوه وزاد : لأن المدينة أرض سبخة. وذكر ابن عبد البر أن تلك القطيفة استخرجت قبل أن يهال التراب ، وانتهى. وقال الحافظ العراقى فى أليفته فى السيرة : وفرشت فى قبره قطيفة وقيل أخرجت وهذا أثبت [2] .

وقال الترمذى عقب روايته حديث ابن عباس : وقد روى عن ابن عبـــاس أنه كره أن يلقى تحت الميت فى القبر شئ وإلى هذا ذهب بعض أهل العلم.

....

(١) رواه مسلم (٢٢٠٦) كتاب الجنائز ، باب : جعل القطيفة فى القبر والترمذى فـــى الجنـــائز (١٠٤٨) باب : ما جاء فى الثوب الواحد يلقى تحت القبر. والنسائى فـــى الجنـــائز (٨١/٤) وفى كتاب الوفاة (٤٦).

(٢) تحفة الأحوذى المباركفورى (١٤٩/٤).

" كانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الرسول ، فكيف بقلوب المؤمنين "؟

لما فقده الجذع الذى كان يخطب إليه من قبل اتخاذ المنبر حن إليه وصاح كما يصيح الصبى ، فنزل إليه فاعتنقه ، فجعل يهدى كما يهدى[1] الصبى الذى يسكن عند بكائه ، فقال : " لو لم أعتنقه لحن إلى يوم القيامة " [2].

كان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال : هذه خشبة تحن إلى رسول الله ﷺ وأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

وروى أن بلالاً كان يؤذن بعد وفاة النبى ﷺ قبل دفنه ، فإذا قال : أشهد أن محمداً رسول الله ، إرتج المسجد بالبكاء والنحيب ، فلما دفن ترك بلال الأذان.

ما أمر عيش من فارق الأحباب ، خصوصاً من كانت رؤيته حياة الألباب.

لو ذاق طعم الفراق رضوى　　لكان من وجده يميد
قد حملونى عذاب شوق　　يعجز عن حمله الحديد [3]

قال أنس ابن مالك رضى الله عنه : " لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة ، أضاء منها كل شيئ فلما كان اليوم الذى دفن فيه ، أظلم منها كل شيئ وما نفضنا أيدينا عن رسول الله ﷺ ، وإنا لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا " [4].

....

(١) أى يهدأ ، فأسقط الهمزة.

(٢) صحيح. رواه أحمد (١/٢٤٩-٢٦٣-٢٦٧) والطبرانى فى الكبير (١٢/١٨٧) رقم (١٢٨٤١) وابن ماجة (١٤١٥) والدارمى (١/٣٢) رقم (٣٨) وأبو نعيم فى الدلائل صـ(١٤٢) وابن سعد فى الطبقات (١/٢٥٢) من حديث ابن عباس رضى الله عنه. وأصل الحديث فى الصحيحين.

(٣) " لطائف المعارف " (١/١٨٢).

(٤) صحيح رواه أحمد (٣/٢٢١-٢٦٨) والترمذى (٣٦١٨) وفى الشمائل (٣٢٩) وابن ماجة (١٦٣١) والحاكم (٣/٥٧) وابن حبان (٦٦٣٤— إحسان) والخوى فى شرح السنة (٣٨٣٤) وابن سعد فى الطبقات (٢/٢٧٤).

وقول أنس رضى الله عنه : أنكرنا قلوبنا : هذا تعبير عن اللوعة بفقد أكرم الرسل ﷺ ، وأنها ساعة شديدة حتى أنكروا أنفسهم من شدة الحزن وانقطاع الوحى وفقد الصحبة.

لیبك رسول الله من كان باكياً ... فلا تنس قبراً بالمدينة ثاويـا
جزى الله عنا كل خير محمداً ... فقد كان مهدياً وقد كان هاديا
وكان رسول الله روحاً ورحمة ... ونوراً وبرهانا من الله باديـا
وكان رسول الله بالخير آمرا ... وكان عن الفحشاء والسوء ناهياً
وكان رسول الله بالقسط قائماً ... وكان لما إسترعاه مولاه راعياً [1]
وكان رسول الله يدعوا إلى الهدى ... فلبى رسول الله لبيه داعيـا
أينسى أبر الناس بالناس كلهم ... وأكرمهم بيتا وشعباً وواديـا
أينسى رسول الله أكرم من مشى ... وآثاره بالمسجدين كما هيـا
تكدر من بعد النبى محمدٍ ... عليه السلام كل ما كان صافيـا
ركـنـا إلى الدنيا الدنيـة بعـده ... وكشفت الأطماع منا مساويـا
وكم من منارٍ كان أوضحه لنا ... ومن علم أمسى وأصبح عافيـا [2]
إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى ... تقلب عريانا وإن كان كاسيـا
وخير خصال المرء طاعة ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصياً

....

(١) القسط : العدل.
(٢) العلم : العلامة ، وأراد به هنا مايقتدى به . والعافى الدراس.

فى " سنن ابن ماجة " أن النبى ﷺ قال فى مرضه : " يا أيها النـــاس ، إن أحدٌ من الناس أصيب بمصيبةٍ ، فليتعز بمصيبته بى عند المصيبـــة التـــى تصيبـــه بغيرى ، فإن أحداً من أمتى لن يصاب بمصيبةٍ بعدى أشد عليه من مصيبتى " (١).

قال أبو الجوزاء : كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبةٍ جاء أخوه فصافحه ، ويقول : يا عبد الله ثق بالله ، فإن فى رسول الله ﷺ أسوةً حسنة.

اصبر لكل مصيبةٍ وتجلـــد   واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فإنها   نوب تنوب اليوم تكشف فى غدٍ (٢)
وإذا أتتك مصيبة تشتجى بها   فاذكر مصابك بالنبى محمد (٣)

ولبعضهم :

تذكرت لما فرق الدهر بيننا   فعزيت نفسى بالنبى .محمـــــد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا   فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

....

(١) حسن. رواه ابن ماجة (١٥٩٩) كتاب الجنائز ، باب : ماجاء فى الصبر علـــى المصيبـــة. وفى سنده موسى بن عبيدة الربذى ، وهو ضعيف كما فى التقريب (٢/٢٨٦) ولكن للحديـــث شواهد تقويه. وانظر السلسلة الصحيحة (١١٠٦).

(٢) النوب : جمع نائبة وهى المصيبة.

(٣) تشجى : تحزن.

وصايا الرسول ﷺ قبل الموت

كان الرسول ﷺ وهو يكابد سكرات الموت يغتنم بعض الأوقات التى يشعر أنه قادر على التحدث إلى أصحابه ثم يوصيهم ببعض الوصايا المهمة والتى ستكون آخر عهده بالدنيا ، وكانت أولى هذه الوصايا.

*** وصية النبى ﷺ لأصحابه بالمحافظة على الصلاة :**

عن أنس رضى الله عنه قال : كان آخر وصية رسول الله ﷺ وهو يغرغر بها فى صدره ، وما كان يفيص بها لسانه (١) : " الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم " (٢).

ولا عجب أن يكون النبى ﷺ مهموماً بأمر الصلاة ، وهو يكابد سكرات الموت ؛ لأنه ﷺ لا يريد من أصحابه وأتباعه أن يفرطوا فى الصلاة ويضيعوها ، لأن الذى يضيع الصلاة إنما يضيع نفسه ؛ لأنه ﷺ هو القائل : " الصلاة هى من أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة ، فإن صلحت صلح سائر عمله " (٣) وفى رواية " فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر " (٤).

••••••••••••••••••••

(١) قال البغوى فى شرح السنة (٣٥٠/٩) : هو بالصاد غير المعجمة يعنى : ما يبيں كلامه يقال: فلان مايفيص بكلمة إذا لم يقدر على أن يتكلم ببيان وفلان ذو إفاصة ، أى : ذو بيان.

(٢) صحيح. رواه أحمد (١١٧/٣) وابن ماجة (٢٦٩٧) والطحاوى فى مشكل الآثار (٢٣٥/٤) وابن سعد فى الطبقات (٢٥٣/٢) وابن حبان (٦٦٠٥-إحسان). ورواه أحمد (٣١١/٦-٣٢١) وابن سعد (٢٥٤/٢) وابن ماجة (١٦٢٥) والبغوى (٢٤١٥) من حديث أم سلمة رضى الله عنها وسنده صحيح.

(٣) حسن. رواه الطبرانى فى الأوسط والضياء فى المختارة عن أنس رضى الله عنه وانظر الصحيحة (١٣٥٨).

(٤)حسن رواه أحمد (٤٢٥/٢) وأبو داود (٨٦٤) والترمذى (٤١٣) وابن ماجة (١٤٢٥) والحاكم (٢٦٢/١) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

والرسول ﷺ هو الذى أنزل الله عليه قول الله تعالى : ﴿**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً**﴾ [مريم:٥٩]

فخشى النبى ﷺ على أصحابه وأتباعه أن يكونوا من هؤلاء الذين سيلقون غياً، أى خسراً يوم القيامة. وقيل : " الغى " واد فى جهنم بعيد القعر خبيث الطعم.

وقد ذهب بعض السلف إلى أن معنى إضاعة الصلاة فى الآية يعنى عدم أدائها فى مواقيتها.

قال القاسم ابن مخيمرة : إنما أضاعوا المواقيت ولو كان تركاً كان كافراً.

وقال مسروق : لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين ، وفى إفراطهن الهلكة ، وإفراطهن إضاعتهن عن وقتهن.

فيا عبد الله كن محافظا على الصلاة حتى تكون من أهل النجاة.

*** نهيه ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد :**

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى لم يقم منه " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " قالت : فلولا ذاك لأبرز قبره. غير أنه خشى أن يتخذ مسجداً [١].

وعن عائشة وعبد الله ابن عباس قالا : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال : وهو كذلك " لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " يحذر مثل ماصنعوا [٢].

....

(١) رواه البخارى (١٣٩٠) كتاب الجنائز ، باب : ما جاء فى قبر النبى ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما. ومسلم (١١٦٤) كتاب الصلاة ، باب : النهى عن بناء المساجد على القبور.

(٢) رواه البخارى (٤٣٦) كتاب الصلاة ، ومسلم (١١٦٧) كتاب الصلاة، باب : النهى عن بناء المساجد على القبور والنسائى فى الصلاه (٢/٤٠) باب: النهى عن اتخاذ القبور مساجد

وعن جندب رضى الله عنه قال : سمعت النبى ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول : " إنى أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليلاً. فإن الله تعالى قد اتخذنى خليلاً كما إتخذ إبراهيم خليلاً. ولو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك " (١).

وعن عائشة رضى الله عنها ، أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة . فيها تصاوير ، فذكرتا للنبى ﷺ ، فقال : " إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات ، بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله " (٢).

وقد نهى النبى ﷺ عن بناء المساجد على القبور والأضرحة سداً لذريعة الشرك أن يقع فى الأمة ، فإن بعض الناس يحملهم الغلو فى الأولياء والصالحين على أن يشركوا بهم مع الله عز وجل ، فيستغيثون بهم عند الشدائد ، ويطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل كجلب النفع ودفع الضر ، ويطوفون حول أضرحتهم كما يطاف حول الكعبة ، ويتبركون بالمقصورات والأعتاب ويذبحون وينذرون للمقبورين ، ويحلفون بهم ، كل هذه مظاهر من مظاهر الشرك الذى خشى علينا منه النبىﷺ عندما نهى أمته عن بناء المساجد على القبور والأضرحة.

وقد يقول قائل أنا لا أفعل هذه الأمور الشركية إذا صليت فى المساجد المقامة على الأضرحة ، فهل يجوز لى والحالة هذه الصلاة فى هذه المساجد؟

والجواب : أنه لا يجوز الصلاة فى هذه المساجد حتى مع عدم الإتيان بهذه الأمور الشركية ، لأنه سيبقى أمر أخر وهو مشابهة اليهود والنصارى فى أفعالهم والرسول ﷺ يقول : " من تشبه بقوم فهو منهم "(٣)..

....

(١) رواه مسلم (١١٦٨) كتاب الصلاة ، باب : النهى عن بناء المساجد على القبور.

(٢) رواه البخارى فى الصلاة (٤٢٧) باب : هل تنبش قبور مشركى الجاهلية وينخذ مكانها مساجد. ومسلم (١١٦١) كتاب الصلاة ، باب : النهى عن بناء المساجد على القبور. والنسائى فى الصلاة (٢/٤٠) باب : النعى عن إتخاذ القبور المساجد. وأحمد (٦/٥١).

(٣) حسن. رواه أحمد (٢/٥٠-٩٢) وأبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمررضى الله عنه.

شبهـــة وجوابهـا

يقول بعض الناس : إن قبر النبى ﷺ فى مسجده الشريف ، فكيف يكـــون ذلك مع نهيه ﷺ عن بناء المساجد على القبور ؟

و جواباً على هذه الشبهة نقول : إن وجود قبر النبى ﷺ الآن داخل المسجد أمر طارئ على ما كان عليه قبره ﷺ فى بادئ الأمر ، فإن النبى ﷺ لما مات دفن فى حجرة عائشة رضى الله عنها ، بجانب المسجد ، وكان يفصل بينهما جدار فيــه باب ، كان ﷺ يخرج منه إلى المسجد ، وهذا أمر معروف مقطوع به عند العلماء، ولا خلاف بينهم فى ذلك. ثم حدث بعد ذلك أن أمر الوليد ابن عبد الملك سنة ثمــان وثمانين للهجرة بهدم المسجد النبوى وإضافة حجر أزواج النبى ﷺ إلى المســجد ، ومن هذه الحجر حجرة عائشة رضى الله عنها فصار القبر بذلك فى المسجد ، ولـــم يكن فى المدينة المنورة حينذاك أحد من صحابة النبى ﷺ.

ومع ذلك ، فقد استثنى العلماء مسجد النبى ﷺ من عموم المساجد وذلك لأن مسجد النبى ﷺ له فضيلة خاصة لا توجد فى المساجد الأخرى المبنية على القبور ، وذلك لقوله ﷺ : " صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " (١).

....

(١) رواه البخارى فى فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (١٨٨) باب : فضل الصلاة فـــى مسجد مكة والمدينة. ومسلم (٣٣١٥-٣٣١٦-٣٣١٧-٣٣١٨) كتاب الحج بـــاب : فضـــل الصلاة بمسجدى مكة والمدينة. والترمذى فى الصلاة (٣٢٥) باب : ما جاء فى أى المســاجد أفضل. والنسائى فى المناسك (٥/٢١٤) باب فضل الصلاة فى المسجد الحرام. وابن ماجـــة فى الصــلاة (١٤٠٤) باب فضل الصلاة فى المسجد الحرام ومسجد النبى ﷺ من حديـــث ابى هريرة رضى الله عنه

ولقوله ﷺ : " ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة "(١) وقولـــه ﷺ : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمســجد الأقصــى ومسجدى هذا " (٢) ولغير ذلك من الفضائل ، فلو قيل بكراهة الصلاة فيه كان معنى ذلك تسويته مع غيره من المساجد ، ورفع هذه الفضائل عنه ، لا يجوز كمــا هــو ظاهر. وعلى الرغم من دخول قبره ﷺ إلى المسجد فقد صــاحب ذلــك بعــض الاجراءات التى تحول بين الناس وبين ملامستهم للقبر والتوجه إليه.

قال النووى : إنما نهى النبى ﷺ عن إتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفــاً من المبالغة فى تعظيمه والافتتان به ، فربما أدى ذلك إلى الكفر كما جرى لكثــير من الأمم الخالية.

ولما احتاجت الصحابة (٣) رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة فى مسجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون و امتدت الزيادة إلى أن أدخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ، ومنها حجرة عائشة رضى الله عنها مدفن رســول الله ﷺ وصاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر فى المسجد فيصلى إليه العوام ويؤدى إلى المحذور

....

(١) رواه البخارى فى فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة باب : فضل مابين القبر والمنــبر. ومسلم (٣٣٠٩-٣٣١٠) كتاب الحج باب : مابين القبر والمنبر روضة من رياض الجنـــة. وأحمد (٢/٢٣٦) والنسائى فى المساجد (٢/٣٥) باب : فضل مسجد النبى ﷺ والصلاة فيه من حديث عبد الله ابن زيد الأنصارى .

(٢) رواه البخارى فى فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة (١١٨٩) باب : فضل الصلاة فــى مسجد مكة والمدينة. ومسلم (٣٣٢٤) كتاب الحج باب : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. وأبو داود فى المناسك (٢٠٣٣) باب فى إتيان المدينة. والنسائى فى المساجد (٢/٣٧) باب : ما تشد الرحال إليه من المساجد. وهو من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٣) سبق أن دخول القبر إلى المسجد قد تم فى عدم وجود أى أحد مـــن صحابــة النبــى ﷺ بالمدينة المنورة.

ثم بنوا جدارين من ركنى القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر ، ولهذا قال فى الحديث ... ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشى أن يتخذ مسجدا. والله تعالى أعلم بالصواب [1].

شبهة أخرى وجوابها

إستدل بعض الناس على جواز الصلاة فى المساجد المقامة على الأضرحة بقول الله تعالى : ﴿ **قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً** ﴾ [الكهف:٢١].

والجواب على هذه الشبهة من وجهين.

الوجه الأول : أن هذه الآية تتحدث عن أناس قبلنا ، وشرع من قبلنا ، قال فيه أهل العلم قولين :

القول الأول : أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا.

القول الثانى : أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد فى شرعنا ما يخالفه.

وعلى كلا القولين لايجوز الاستدلال بالآية ، لأنه قد ورد فى شرعنا النهى عن بناء المساجد على القبور.

الوجه الثانى : أننا لا نعلم من هم الذين قالوا ﴿**لنتخذن عليهم مسجداً** ﴾ **هل هم مسلمون أم مشركون** ؟ وظاهر الآية أن الذين قالوا هذا القول هم أهل الغلبة على الأمور ، وقد قالوا هذا القول اتباعاً للهوى وليس اتباعاً للشرع والله أعلم

(فائدة) قال الحافظ ابن حجر : وكأنه ﷺ علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى ، فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من يفعل فعلهم ، وقوله (اتخذوا) جملة مستأنفة على سبيل البيان لموجب اللعن كأنه قيل **ماسبب لعنهم** ؟ فأجيب بقوله : (اتخذوا) وقوله : (يحذر ما صنعوا) جملة أخرى مستأنفة من كلام الراوى ، كأنه سئل عن حكمة ذكر ذلك فى ذلك الوقت فأجيب بذلك.

....

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (٢/٦٨٠-٦٨١) ط دار الغد العربى.

وقد استشكل ذكر النصارى فيه لأن اليهود لهم أنبياء بخلاف النصارى فليس بين عيسى وبين نبينا ﷺ نبى غيره وليس له قبر . والجواب أنه كان فيهم أنبياء أيضاً لكنهم غير مرسلين كالحواريين ومريم فى قول ، أو الجمع فى قوله (أنبيائهم) بإزاء المجموع من اليهود والنصارى ، والمراد الأنبياء وكبار أتباعهم فاكتفى بذكر الأنبياء ، ويؤيده قوله فى رواية مسلم من طريق جندب (كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد) ولهذا لما أفرد النصارى فى الحديث الذى قبله قال : " إذا مات فيهم الرجل الصالح " ولما أفرد اليهود فى الحديث الذى بعده قال : " قبور أنبيائهم " أو المراد بالاتخاذ أعم من أن يكون ابتداعاً أو اتباعاً ، فاليهود ابتدعت والنصارى اتبعت ، ولا ريب أن النصارى تعظم قبور كثير من الأنبياء الذين تعظمهم اليهود [1].

....

(١) فتح البارى (٦٣٤/١)

وصيته ﷺ بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب

كان النبي ﷺ يعلم من قرائن أحوال اليهود والنصارى ومن خلال محاوراته مع الفريقين وقبل ذلك من خلال إخبار الله عنهم ، أنهم لن يكفوا أبداً عن إشعال الحروب والفتن وبث الدسائس بين المسلمين كما قال تعالى : ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا** ﴾(١)

وقال تعالى : ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾(٢).

من أجل ذلك عزم النبي ﷺ على إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأن لا يبقى فيها إلا من أعلن التوحيد لله ﷻ.

عن جابر رضي الله عنه قال : أخبرني عمر بن الخطاب ، أنه قد سمع رسول الله ﷺ يقول : " لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً " (٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ أوصى بثلاث ، قال : "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم " (٤).

وعن أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه قال : اخر ما تكلم به رسول الله ﷺ : " أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب ، واعلموا أن شر الناس الذين اتخذوا قبورهم مساجد " (٥).

وقد قام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بإنفاذ وصية رسول الله ﷺ وأخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب .

....

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٧.
(٢) سورة البقرة : الآية ١٢٠.
(٣) رواه مسلم (٤٥١٣) كتاب المغازي ، باب: إجلاء اليهود من الحجاز. وأبو داود في الإمارة (٣٠٣٠) باب: إخراج اليهود من جزيرة العرب. والترمذي في السير (١٦٠٦-١٦٠٧) باب: ما جاء في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب. وأحمد(٣٢/١).
(٤) رواه البخاري (٤٤٣١) ومسلم (٤١٥٤) وأحمد (٢٢٢/١) وأبو داود (٣٠٢٨).
(٥) صحيح. رواه أحمد (١٩٥/١) وأبو يعلى (٨٧٢).

عن ابن عمر ، أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وأن رسول الله ﷺ لما ظهر على خيبر أراد اخراج اليهود منها. وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين. فأراد اخراج اليهود منها ، فسألت اليهود رسول الله ﷺ أن يقرهم بها على أن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله ﷺ : " نقركم بها على ذلك ما شئنا " فقروا [1] بها حتى أجلاهم عمر إلى تيماء [2] وأريحاء [3].

قال النووى — رحمه الله -: " قوله ﷺ : أقركم فيها على ذلك ما شئنا " وفي رواية الموطأ " أقركم ما أقركم الله ".

قال العلماء : وهو عائد إلى مدة العهد ، والمراد إنما نمكنكم من المقام فى خيبر ما شئنا ثم نخرجكم إذا شئنا لأنه ﷺ كان عازماً على إخراج الكفار من جزيرة العرب ، كما أمر به فى آخر عمره ﷺ وكما دل عليه هذا الحديث وغيره[4].

وأما السبب الباعث لعمر بن الخطاب رضى الله عنه على إخراج اليهود من جزيرة العرب ، هو أن اليهود قد عادوا مرة أخرى يمارسون طباع الغدر والخيانة مع المسلمين ، وذلك أن عبد الله بن عمر ابن الخطاب كان له أرض بخيبر ، فخرج ذات يوم ليتفقد ماله ، فإذا باليهود يعدون عليه وألقوا به من فوق أحد البيوت ففدعوا يداه ورجلاه.

....

(١) قروا : سكنوا.

(٢) تيماء وأريحاء : هما موضعان بقرب بلاد طئ على البحر فى أول طريق الشام من المدينة. قاله الحافظ فى الفتح (٢٧/٥) قال النووى : " وهذا دليل على أن مراد النبى ﷺ بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب إخراجهم من بعضها وهو الحجاز خاصة لأن تيماء من جزيرة العرب ، لكنها ليست من الحجاز والله أعلم ".

(٣) رواه البخارى (٢٣٣٠) كتاب الحرث والمزرعة ، باب إذا قال رب الأرض أقرك ما أقرك الله ــ ولم يذكر أجلا معلوما ــ فهو على تراضيهما. ومسلم (٣٨٩٢) كتاب البيوع باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع.

(٤) شرح النووى فى صحيح مسلم (٢٣٣/٥) ط دار الغد العربى.

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : " لما فدع [1] أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيبا فقال : إن رسول الله ﷺ عامل يهود خيبر على أموالهم وقال : نقركم ما أقركم الله ، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعدى عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه ، وليس لنا هناك عدو غيرهم ، هم عدونا وتهمتنا [2] ، وقد رأيت إجلاءهم. فلما أجمع [3] عمر على ذلك أتاه أحد بنى أبى الحقيق فقال : يا أمير المؤمنين ، أتخرجنا وقد أقرنا محمد ﷺ وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر : أظننت أنى قد نسيت قول رسول الله ﷺ كيف بك إذ خرجت من خيبر تعدو بك قلوصك [4] ليلة بعد ليلة. فقال: كان ذلك هزيلة [5] من أبى القاسم.

فقال : كذبت يا عدو الله. فأجلاهم عمر ، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وعروضاً من أقتاب وحبال وغير ذلك [6].

....

(١) الفدع : بفتحتين زوال المفصل ، يقال : فدعت يداه إذا أزيلتا من مفاصلهما. وقال الخليل : الفدع عوج فى المفاصل ، وفى خلق الإنسان الثابت إذا زاغت القدم من أصلها من الكعب وطرف الساق فهو الفدع، وقال الأصمعى : هو زيغ فى الكف وبين الساعد وفى الرجل بينها وبين الساق أهـ قاله الحافظ فى الفتح (٣٨٦/٥).

(٢) تهمتنا : أى الذين نتهمهم بذلك.

(٣) أجمع : أى أعزم.

(٤) تعذر بك قلوصك : بفتح القاف وبالصاد المهملة :الناقة الصابرة على السير ، وقيل الشابة وقيل أول ما يركب من إناث الإبل ، وقيل الطويلة القوائم ، وأشار ﷺ إلى إخراجهم من خيبر ، وكان ذلك من إخباره بالمغيبات قبل وقوعها. أهـ. قاله الحافظ فى الفتح (٣٨٧/٥).

(٥) هزيلة : تصغير الهزل وهو ضد الجد.

(٦) رواه البخارى (٢٧٣٠) كتاب الشروط ، باب إذا إشترط فى المزرعة إذا شئت أخرجتك.

وصيته ﷺ بالأنصار

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " خرج رسول الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه بملحفة قد عَصَّبَ بعصابة دسماء [١] حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار ، حتى يكونوا فى الناس بمنزلة الملح فى الطعام ، فمن ولى منكم شيئاً يضر فيه قوماً وينفع آخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكان آخر مجلس جلس فيه النبى ﷺ "[٢].

وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال : " خرج النبى ﷺ وقد عصب على رأسه حاشية برد قال : فصعد المنبر ، ولم يصعده بعد ذلك اليوم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتى [٣] ، وقد قضوا على الذى عليهم وبقى الذى لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزا عن مسيئهم " [٤].

الأنصار هم الذين نصروا رسول الله ﷺ وآووه عندما هاجر إليهم من مكة إلى المدينة ، وكان للأنصار الأثر البالغ فى نصرة الدين وظهوره ، ولفضلهم فى الإسلام سماهم الله عز وجل بالأنصار ، فعن غيلان ابن جرير قال : قلت لأنس أرأيت اسم الأنصار كنتم تتسمون به ، أم سماكم الله ؟ قال : بل سمانا الله [٥].

....

(١) دسماء : أى لونها كلون الدسم ، وهو الدهن. وقيل المراد منها سوداء لكن ليست خالصة السواد.

(٢) رواه البخارى (٣٦٢٨) كتاب المناقب.

(٣) قال النووى : معناه جماعتى وخاصتى الذين أثق بهم وأعتمدهم فى أمورى ، قال : الخطابى : ضرب مثلا بالكرش لأنه مستقر غذاء الحيوان الذى يكون به بقاؤه. والعيبة : وعاء معروف أكبر من المخلاة يحفظ الإنسان فيها ثيابه وفاخر متاعه ويصونها ، ضربها مثلاً لأنهم أهل سره ، وخفى أحواله أهـ. شرح النووى على صحيح مسلم (٥٧٦/٧).

(٤) رواه البخارى (٣٧٩٩) كتاب مناقب الأنصار ، باب : قول النبى ﷺ " اقبلوا من محسنهم ، وتجاوزا عن مسيئهم ".

(٥) رواه البخارى (٦٧٧٦) كتاب : مناقب الأنصار.

وأنزل الله فيهم قوله تعالى : ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ [الحشر : ٩].

وقد كان النبى ﷺ يطيب قلوب الأنصار حتى قال : " لو أن الأنصار سلكوا واديا أو شعباً لسلكت فى وادى الأنصار ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار " (١).

وقال عنهم ﷺ : " الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله " (٢).

وقال لهم النبى ﷺ : " أنتم من أحب الناس إلى ، قالها ثلاث مرات " (٣)

ودعا لهم النبى ﷺ بقوله : " اللهم اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار " (٤).

....

(١) رواه البخارى (٣٧٧٩) كتاب مناقب الأنصار ، باب : قول النبى ﷺ : " لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار " من حديث أبى هريرة رضى الله عنه.

(٢) رواه البخارى (٦٧٧٦) كتاب مناقب الأنصار.

(٣) رواه البخارى (٣٧٨٣) كتاب مناقب الأنصار ، باب : حب الأنصار من الإيمان. ومسلم (٦٣٠٠) كتاب الفضائل ، باب : الأنصار.

(٤) رواه مسلم (٦٢٩٦) كتاب الفضائل ، باب : فضائل الأنصار. والترمذى فى المناقب عقيب الحديث (٣٩٠٢) باب : فضائل الأنصار وقريش.

الفهرس